

الفصل السابع

المسيح ومحاولات قتله

فتنة الصلب

في ليلة هوجاء ، هبت أعاصير عاتية من الفتن والأحداث ، زاغت في مشاهدتها الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر - « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

في تلك الليلة خرج المسيح « ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون . وتبعه أيضا تلاميذه . ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكي لا تدخلوا في تجربة . وأنفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى » .

لم يكن فيما فعله المسيح آنذاك شيء غريب . فقد « اجتمع هناك كثيرا مع تلاميذه » ، وكان المكان لهم مألوفا ، وكانت الصلاة حرفته ورضاء نفسه ، وكثيرا ما « قضى الليل كله في الصلاة لله » .

لكن ما تلى ذلك من أحداث ، كان بمثابة الحجر الذي أثار بركة هادئة ، عانت بسببه اضطرابا عظيما ، واستمر ما خلفه من تموجات وتقلصات يحجب الرؤية عند البعض مآت السنين ، كما استمر يحجبها عند البعض الآخر حتى يومنا هذا .

✱

في تلك الليلة لم يصل التلاميذ كما أمرهم معلمهم ، فدخلوا في تجربة وفتنوا جميعا ، وتحققت فيهم نبؤته التي قالها لهم : « كلكم تشكون في هذه الليلة » . فشكوا فيه جميعا وفقدوا إيمانهم ، وحينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا وهم يحملون معهم ذلك الشك القاتل .

لقد جاءت قوة الظلم لتقبض على المسيح ، جاءت في الليل « بمشاعل ومصاييح وسلاح » وما أن أقتربت من فريستها وظنته في قبضتها حتى حدث ما لم يكن في الحسبان . هناك تدخلت « ذراع الرب » وبيد قويه تحققت النبؤات التي سبق أن قيلت في خلاصه :

« لأنك قلت أنت يارب ملجأى . جعلت العلى مسكنك لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك .

لأنه يوصى ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك . على الأيدي يحملونك . .

لأنه تعلق بي أنجييه . أرفعه . . معه أنا في الضيق . أنقذه وأعجده . . أريه خلاصى » .

لقد روع الظالمون بما رأوه فما كان منهم إلا أن « رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » : ولما أفاقوا عقدت الدهشة السنهم « لأنهم ابصروا ما لم يخبروا به ، وما لم يسمعه فهموه » فلقد رأوا المسيح ، عبد الله البار « يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا » - لقد كانت صدمة عنيفة وكان الأمر فتنة ...

ولقد كان على الجند واجبا أن يأتوا بالضحية ، فقبضوا على ضحية وساقوه إلى الحكم ، وفي اليوم التالى صلبوه ، وما كان هناك من شهيد إلا النساء اللاتي كن « ينظرن من بعيد » .

★

لقد روع التلاميذ بما حدث ، فهذا معلمهم قد اختفى فجأة وكذلك اختفى يهوذا الخائن ، وحدثت واقعة صاب لم يكونوا شهودها ، وتفرق كل واحد منهم فرارا من اضطهاد مؤكد .

ومرت أيام وأسابيع وشهور ، حاول فيها التلاميذ والأتباع تضميد الجراح ولم الشمل وتجاوز المحنة ، ومن ثم نشطوا لنشر الدعوة في أرجاء العالم الرومانى الوثنى ، هناك اختلطوا بأفراد وشعوب ذات عقائد وفلسفات شتى ، وكان صراع في كل مكان ، وكان شد وجذب وأخذ وعطاء . .

لقد نقلت تعاليم المسيح شفاهاً ، وسارت بين الناس - من الاتباع والخصوم على السواء - روايات شتى عن حياته وتعاليمه ، كثيراً ما تعرضت للتعديل بالأضافة أو الحذف ، أو بكليهما معا . حتى إذا انقضت عشرات السنين ، قضى فيها الكثير من التلاميذ والاتباع ، وحفلت بالدخلاء والأدعياء ، ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين « الذكريات » التىبقى منها ما يعلق بالأذهان وهكذا بدأت كتابة الأناجيل .

★

يقول تشارلز دود : « من الأمور التى يغلب التسليم بها ، أنه كانت هناك فترة اعتقدت فيها الكنيسة أن الصلب لم يكن سوى كارثة استعوضت بالقيامة وأن الانطباعات اللاحقة فقط هى التى وجدت فيه شيئاً ذا معنى . من المستحيل أن ننكر أن هذا ما قد كان ..

إن أقصى مرحلة مبكرة نستطيع الوصول إليها بما لدينا من شهادات ، ترينا أن يسوع قد أعتقد فيه أنه العبد المذكور فى اشعيا ٥٢ : ١٣ - ٥٣ : ١٢ ، والذي يكون موته بطاعة كاملة لله ، فدية عن كثيرين » (٥٤) .

ولقد وضعت نظريات مختلفة لتبرير الصلب ، وتحويله من الصورة التى علقت فى ذهن الكثيرين بأعتبره هزيمة لحقت بصاحب الدعوة ، إلى انتصار ليس له من دليل سوى روايات القيامة .

وجد بعض قدامى المسيحيين فى ذلك كل الجدد ، - حتى أن شخصا مثل بولس لم ير فى دعوة المسيح شيئاً غير الصلب .

★ ★

بولس وفكرة قلب المسيح

لقد تبنى بولس فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر ، وروج لها فى رسائله - تلك الرسائل التى لم يكتب أقدمها إلا بعد رفع المسيح بأكثر من ٢٠ عاما . فلقد كان الصلب وسفك الدم هو ما عزم بولس على ألا

يعرف من المسيحية شيئا غيره . وهو يقرر ذلك في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ، حيث يقول :

« إنى لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوبا - ٢:٢ » .

ولقد كان ذلك هو ما قبله بولس ، وإنجيله الذى ذهب يبشر به :
« أعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذى بشرتكم به وقبلتموه .. فأنى سلمت اليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب ١٥:١-٣ » .

ويبنى بولس نظريته هذه على أساس يرفضه المسيح رفضاً تاماً - ذلك أن بولس يقول :

« إن كان بالناموس بر فالمسيح إذن مات بلا سبب - غلاطية ٢: ٢١ » .

*

فإذا رجعنا إلى مايقوله المسيح عن الناموس ، لوجدنا فيه البر الذى لاينكر - فهو يقول :

« لا تظنوا إنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل .

فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات - متى ٥: ١٧-١٩ » .

وكذلك يذكر لوقا بحزم على لسان المسيح أن « زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس - ١٦: ١٧ » .

ومنذ بدأ المسيح دعوته حتى آخر يوم له بين الناس ، وهو يدعو إلى التمسك بالناموس والحرص عليه :

« حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وأفعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون . متى ٢٣: ١-٣ .

ولقد كانت حملة المسيح عنيفة على الكهنوت اليهودى الذى ادعى الحفاظ على الناموس بتمسكه فقط بالمظاهر والشكليات ، فاختنق بذلك المدخل الموصل إلى ملكوت السموات ، الا وهو الأخذ بتعاليم الناموس نصاوروحاً ، تلك التعاليم التى بين المسيح جوهرها ، وهو : الحق والرحمة والإيمان . « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون ولا تدعون الداخلين يدخلون ..

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون . وتركم أثقل الناموس : الحق والرحمة والإيمان . كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك - متى ٢٣: ٢٣-٢٣ » .

*

ويستطيع دارس الأسفار المقدسة أن يصل فى سهولة ويسر إلى نتيجة محددة تقول : أن البر هو الإيمان بالله والعمل الصالح ، وأنه وجد أبرار منذ بدء الخليقة ومن قبل أن يأتى موسى بالناموس ، ومن بعدما جاء به ، فتبرر به الكثيرون . والشواهد على ذلك كثيرة ، منها :

« كان نوح رجلاً باراً كاملاً فى أجياله . وسار نوح مع الله - تكوين ٦: ٩ » .

« وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه - تكوين ٥: ٣٤ » .

ويؤكد الإنجيل على لسان المسيح أن البر هو العمل الصالح قولاً وفعلًا : « الإنسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب يخرج الصالحات . والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور .

ولكنى أقول لكم أن كل كلمة بطلاة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين لأنك بكلامك تبتدر وبكلامك تدان - متى ١١: ٣٥-٣٧.

✱

مما سبق يتبين أن نظرية بولس في سفك دم المسيح ليس لها من أساس في تعاليم المسيح وتلاميذه الحقيقيين الذين عاصروه وتعلموا بين يديه ، وما كان بولس واحداً منهم .

لكنه بولس الذى قال عن نفسه ، في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس :
« أظن أنا أيضاً عندى روح الله - ٧: ٤٠ ، .

« كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق ٦: ١٢ ، ١٠: ٢٣ » .
السم تعلمون أننا سندين ملائكة ٦: ٣ » .

وهو بولس الذى قال عن الله :

« الريح يفتحص كل شيء حتى أعماق الله - ٢: ١٠ » .

« جهالة الله أحكم من الناس ، وضعف الله أقوى من الناس ٥ - ١: ٢٥ » .

وهو بولس الذى جعل المسيح لعنة بصلبه ، وذلك كنتيجة حتمية لنظريته في القتل وسفك الدم .

« المسيح أفتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة من أجلنا .

لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة - غلاطية ٣: ١٣ » .

ثم هو بولس الذى اعترف صراحة بعجزه عن الفكاك من أسر خطاياہ الجسدية التى تقوده إلى الشقاء :

« لست أعرف ما أنا أفعله اذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل ..

إنى أعلم أنه ليس ساكن فى ، أى فى جسدى ، شىء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندى وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد .

لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده
فإياه أفعل .. لكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى
ويسببى إلى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى .

ويحى أنا الإنسان الشقى : من ينقذنى من جسد هذا الموت - روميه
١٥:٧-٢٤ .

★ ★

تنبؤات المسيح بآلامه

لقد تأثرت الأناجيل - التى كتب أقدمها ، وهو إنجيل مرقس ، بعد
أن بدأ بولس كتابة رسائله بأكثر من ١٥ سنة - بنظرية سفك دم المسيح
فدية عن كثيرين .

ولما كان من المتوقع أن يتحدث المسيح عن آلامه ورفضه باعتبارها
ظواهر اقترنت دائماً بحمل رسالات السماء ، فانا نجد انجيل مرقس يضع
ما يمكن اعتباره أساساً لكل ما قيل عن التنبؤات بالآلام المرتقبة ، والتى
تطور الحديث عنها حتى خلق منها تنبؤات من ظواهر الأحداث
التي وقعت .

فحين سأل التلاميذ المسيح عما يثيره الكهنوت اليهودى ضده من شكوك،
استنداداً لما تقوله الكتب من ضرورة محيى المسيح ، قالوا : « لماذا يقول
الكتبة أن إيليا ينبغى أن يأتى أولاً ؟

فأجاب وقال لهم أن إيليا يأتى أولاً ويرد كل شيء .. لكن أقول لكم
أن إيليا أيضاً قد أتى وعملوا به كل ما أرادوا كما هو مكتوب عنه » .

وهنا تنبأ المسيح لتلاميذه بما ينتظره من آلام فبين لهم « كيف هو
مكتوب عن ابن الإنسان أن يتالم كثيراً ويرذل - مرقس ٩: ١١-١٣ » .

ولما كان إنجيل مرقس مصدراً رئيسياً لمتى ، فإنه نقل هذه الفقرة فى
١٧: ١٠-١٣ ، مع ادخال بعض التعديلات البسيطة ، مثل قوله عن آلام
المسيح : « كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتالم منهم » .

كذلك بين متى أن المقصود بإيليا هو يوحنا المعمدان ، إذ قال :
« حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » .

وينقل لوقا ما قيل عن آلام المسيح بعد تخليصه من المشاكل التي تحيط به في الفقرة السابقة فيقول :

« قال للتلاميذ ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوما واحداً من أيام ابن الإنسان ولا ترون .. ولكن ينبغي أولاً أن يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل — — لوقا ١٧: ٢٢، ٢٥ » .

*

وتشير الفقرة السابقة — كما جاءت في مرقس ومتى — بعض المشاكل منها:
« أن العهد القديم لا يحتوي على أى إشارة تفيد أن إيليا سيرفض عند عودته ..

كما أن الكنيسة الأولى كانت منقسمة على نفسها بالنسبة لهذه المسألة (التي تعتبر إيليا جاء في شخص يوحنا المعمدان تحقيقاً لنبؤة ملاخي) ،
ويوضح ذلك مما في إنجيل يوحنا ١: ٢١ » (٥٥) .

فنبؤة ملاخي التي احتج بها الكهنوت اليهودي ضد المسيح ، وأثارت تساؤلات بين تلاميذه — تقول :

« هأنذا أرسل اليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والخوف .
فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آباءهم لثلاثي واضرب الأرض بلعن — ملاخي ٤: ٥-٦ » .

وفي الفقرة السابقة — التي تعتبر أساس التنبؤات بآلام المسيح — نجد أن كلا من متى ومرقس قد ذكر — الأول صراحة والثاني : ضمناً — أن المسيح قال لتلاميذه أن إيليا جاء في شخص يوحنا المعمدان . ومع أن لوقا لم يذكر ذلك عند الكلام عن آلام المسيح — ابن الإنسان — في ١٧: ٢٥ ، إلا أنه قد أكد نفس المعنى في مقدمة إنجيله حين تكلم عن بشاراة الملاك لزكريا بمولد ابنه يوحنا (المعمدان) فقال :

« أنه يكون عظيماً أمام الرب وخرأً ومسكراً لا يشرب . ومن بطن أمه
يمتلئ من الروح القدس . ويرد كثيرين من بني اسرائيل إلى الرب الالههم .
ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى
فكر الأبرار لكي يسمي للرب شعباً مستعداً - ١٥: ١ - ١٧ » .

فما سبق يتبين أن مرقس ومتى ولوقا ، اتفقوا على أن إيليا جاء في
شخص يوحنا المعمدان . لكن يوحنا يبنى ذلك نفيّاً قاطعاً ، فيقول :
« وهذه شهادة يوحنا (المعمدان) حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة
ولا وبين ليسألوه من أنت :

فاعترف ولم ينكر وأقر أنني لست أنا المسيح .

فسألوه : إذن ماذا ؟ إيليا أنت ؟

فقال لست أنا .

النبي أنت ؟ فأجاب لا . . .

فسألوه وقالوا له : فما بالك تعمّد إن كنت لست المسيح ولا إيليا
ولا النبي - يوحنا ١ : ١٩ - ٢٥ » .

✱

وإذا تركنا مشاكل الفقرة المشار إليها جانباً ، وعدنا إلى ما ترويه عن
تنبؤ المسيح بآلامه - أو بالأحرى توقعاته لوجدناها تقول :

ينبغي للمسيح ابن الإنسان « أن يتألم كثيراً ويرفض من هذا الجيل » .

ولقد تطور هذا التنبؤ - أو التوقع - حتى صار تنبؤاً بصلب المسيح كما
ذكر متى في قوله على لسان المسيح :

« ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة
والكتبة فيحكمون عليه بالموت .

ويسلمونه إلى الأمم لكي يمزأوا به ويجلدوه ويصلبوه - ٢٠ : ١٨ - ١٩ » .

وجدير بالذكر أن إنجيل متى هو الإنجيل الوحيد (٥٦) الذي نسب للمسيح تنبؤه بالقتل صلباً ، كما أنه سبق أن طور ما قيل عن « آية يونان » حتى جعلها نبوة عن موت المسيح ودفنه في بطن الأرض ثم قيامته في اليوم الثالث .

فلقد بدأت « آية يونان » بقول مرقس :

« خرج الفريسيون^{٥٧} وابتدأ يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه . فتنهد بروحه وقالى لماذا يطلب هذا الجيل آية .

الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية - مرقس ٨ : ١١-١٢ » .
ولقد طورها لوقا فقال :

« وفيما كان الجموع مزدحمين ابتدأ يقول هذا الجيل شرير . يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي .

لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضاً لهذا الجيل - لوقا ١١ : ٢٩-٣٠ » .

أما متى فإنه ذهب بها إلى آخر المدى ، فلقد حولها - بما قدمه من إضافات وتعديلات إلى نبوءة خاطئة ، وذلك حين قال :

« حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يا معلم نريد أن نرى منك آية .

فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي .

لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال - متى ١٢ : ٣٨-٤٩ » .

ولقد بينا خطأ هذه النبوءة ، عند الكلام عن : « تنبؤات لم تتحقق »

إذ أن المصلوب لم يبق في قلب الأرض - حسباً تذكره الأناجيل - أكرم من يوم واحد وليلتين على أحسن الفروض .

*

يبقى بعد ذلك ما ينسب للمسيح من قول : أن ابن الإنسان سوف يتألم كثيراً ويرفض من جيله . ماذا يعنى هذا القول ، وما يشابهه من الأقوال التي اعتبرت تنبؤات للمسيح بالآلام ؟

يقول تشارلز دود : « لقد سجلت أقوال بان يسوع تنبأ بأن الآلام تنتظره هو وتابعيه ، وغالباً ما استحسن ذلك الاعتقاد في أن الأنداز بموته - وهو القول الذي تكرر ذكره منسوباً ليسوع في الأناجيل - إنما هو تنبؤ خرج من واقع الأحداث ، أى بعد وقوعها .

إن رجال الكنيسة لم يستطيعوا الاعتقاد بأن ربهم كان جاهلاً بما كان ينتظره ويمكن التسليم صراحة بأن دقة بعض هذه التنبؤات قد ترجع إلى ما عرفته الكنيسة من حقائق فيما بعد .

ويجب أن نلاحظ :

١ - أن كل التنبؤات وأحاديث الرؤيا - التي عرفها يسوع بالتأكيد - قد توقعت المحن لشعب الله ، قبل تحقيق الانتصار النهائي للخير .

٢ - وأن تاريخ قرون كثيرة مضت ، قد رسخ بعمق الفكرة القائلة بأن على النبي أن يتحمل الآلام ، كجزء من رسالته .

٣ - وأن موت يوحنا المعمدان قد بين أن ذلك المصير لا يزل جزءاً من دعوة النبوة .

٤ - وأن ذلك التوقع لم يكن محتاجاً لعلم بالغيب خارق للطبيعة ، لكنه كان في حاجة إلى البصيرة العادية لشخص ذكي يرى إلى أين تتجه الأحداث على الأقل أثناء المراحل الأخيرة من الدعوة . .

وأن سياق الكلام للفقرات التي تتكلم عن اضطهادات (أتباع يسوع) ترك إمكانية الشك فيما إذا كانت الآلام المتوقعة ستحدث في الحال أم في وقت لاحق . وعلى سبيل المثال نجد في إنجيل متى مجموعة من هذه التنبؤات قد ذكرها في المهمة التي كلف بها التلاميذ عند ما أرسلوا للوعظ والشفاء :

(ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم . وتساقون أمام ولاة وملوك من أجل شهادة لهم وللأمم . فمَنْ أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من أجل اسمي . ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا ينخلص — ١٠ : ١٧ - ٢٢)

وكذلك في الخطبة الأخيرة التي ذكرها إنجيل مرقس تماما قبل وفاة يسوع (١٣ : ٩ - ١٣) .

وقد فهمت الحالة الأخيرة على أنها إشارة إلى اضطهاد الكنيسة ، كما سجله سفر أعمال الرسل وغيره .

أما الانطباع من الحالة الأولى ، فهو أن الاضطهاد قد يحدث في أي وقت ، وربما عندما كان التلاميذ خارجين لأداء مهمتهم .

ومن الجدير بالذكر أن الدعوة لتحمل الآلام قد وردت في عدة فقرات من إنجيل مرقس ولوقا مصحوبة بموضوع الرحلة لأورشليم :

(ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم . فيمزأون به ويجلدونهم ويقتلون عليه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم — مرقس ١٠ : ٣٣ - ٣٥ .

« وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم .. إن كان أحد لا يأتي إلى ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده وأخوته وأخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لى تلميذا . ومن لا يحمل صليبه ويأتى ورأى فلا يقدر أن يكون لى تلميذا - لوقا ١٤ : ٢٥ - ٢٧) .

وفى الواقع فان الانطباع الذى نخرج به من الأناجيل ككل هو أن يسوع قاد أتباعه إلى المدينة بمفهوم واضح هو أن أزمة تنتظرهم هناك ، وقد يصيبه وأتباعه بسببها آلام مبرحة .

وأن الفقرة المتميزة فى هذا المقام هو ما ذكره مرقس فى ١٠ : ٣٥ - ٤٠ : (وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدي قائلين يا معلم نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا . فقال لهما ماذا تريدان أن أفعل لكما . فقالا له أعطنا أن نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى مجدك . فقال لهما يسوع لستما تعلمان ما تطلبان .

أستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا .

فقالا له نستطيع . فقال لهما يسوع أما الكأس التى أشربها أنا فتشربانها وبالصبغة التى اصطبغ بها أنا تصطبغان . وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا الذين أعد لهم) .

فوجد هنا أن ابنى زبدي قد تأكدا أنهما سيشربان الكأس التى يشربها سيدهم وسيصطبغان بصبغته . إن مفهوم الكلام هنا لاشك فيه إن على التلاميذ أن يشاركوا سيدهم مصيره وبالتأكيد أن يشاركوه ذلك فى المحنة التى تنتظرهم حالا وفى حقيقة الأمر فإن أتباع يسوع لم يشاركوه المصير فى تلك المحنة ..

وبالنسبة للتنبؤ بمشاركة الأخوين (ابنى زبدي) لسيدهما فى مصيره فانها تعتبر واحدة من التنبؤات التى لم تتحقق بمعناها الطبيعى ..

وفى إحدى الفقرات نجد يسوع يتكلم عن الآلام المقبلة لتلاميذه فى شكل دعوة لحمل الصليب .

(مرقس ١٣ : ٣٤ ، وقد استرجعت فى متى ١٦ : ٢٤ ، ولوقا ٩ : ٢٣ - وكذلك متى ١٠ : ٣٨ ، ولوقا ١٤ : ٢٧) .

وبما أن الصليب كان هو الوسيلة الوحيدة المألوفة للاعدام تحت حكم الرومان فإن ما توحى به تلك الفقرة ، هو أنه أراد تهيئهم لا من أجل المعاناة فقط ، بل للموت ..

وما من شك فى أنه يمكن قبول الرأى الذى يقول بأن النبوءات التى نجدوها فى الأناجيل ليست أكثر من انعكاس لتجارب الكنيسة الأولى التى تكونت فيها التعاليم المسيحية ، ومن المؤكد أن بعضاً من هذه النبوءات — على الأقل — قد لونها تلك التجارب .. وفضلاً عن هذا تظهر بعض الآثار لنبوءات نسبت ليسوع ولم تتحقق» (٥٧)

* *

المسيح برفض كل محاولة لقتله

منذ بدأ المسيح دعوته حتى آخر يوم فيها ، نجد الأناجيل تضع لنا ، بين الحين والحين علامات على طريق الرسالة المسيحية ، تذكرنا دائماً باستبعاد فكرة قتل المسيح مهما وضع من أجل تبريرها من نظريات وفلسفات . فالمسيح صاحب الدعوة الذى يعلم حقيقتها وحدودها ، أكثر من بولس وغيره من كتبة الرسائل المسيحية ، هو الذى رفض فكرة قتله واستنكرها تماماً ، ثم هو قد عمل كثيراً لإحباط جميع المحاولات التى رآها تبذل من اليهود لقتله .

فلقد حدث أن « لما كان العيد قد انتصف صعد يسوع إلى الهيكل وكان يعلم . فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم .

أجابهم يسوع وقال تعلّمى ليس لى بل للذى أرسلنى ..
أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس .
لماذا تطلبون أن تقتلونى ..

أنا عالم أنكم ذرية لإبراهيم . لكنكم تطلبون أن تقتلونى لأن كلامى
لا موضع له فيكم . . لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون
أعمال إبراهيم .

ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد حدثكم بالحق الذى
سمعه من الله . هذا لم يعمله إبراهيم - يوحنا ٧ : ١٤ - ١٩ ، ٨ : ٣٧ - ٤٠ .

★

ولما كان المسيح يخشى على حياته من القتل ، فإنه اتخذ من الاحتياطات
ما يجنبه الوقوع فى براثن أعدائه من اليهود :
فقد « جاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى . ودخل المجمع حسب عادته
يوم السبت وقام ليقرأ ..

فامتلا غضباً جميع الذين فى المجمع حين سمعوا هذا . فقاموا وأخرجوه
خارج المدينة وجاءوا به إلى حافة الجبل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه
حتى يطرحوه أسفل . أما هو فجاز فى وسطهم ومضى - لوقا
٤ : ١٦ - ٣٠ .

« فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكى يهلكوه . فعلم يسوع
وانصرف من هناك - متى ١٢ : ١٤ - ١٥ »

« فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاخفى وخرج من الهيكل مجتازاً
فى وسطهم ومضى هكذا - يوحنا ٨ : ٥٩ »

« وكان يسوع يتردد بعد هذا فى الجليل لأنه لم يرد أن يتردد فى
اليهودية لأن اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه - يوحنا ٨ : ١ » .

« فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه . فلم يكن يسوع أيضاً يمشى
بن اليهود علانية بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة

يقال لها أفرام ومكث هناك مع تلاميذه . وكان فصيح اليهود قريبا -
يوحنا ١١ : ٥٣ - ٥٥ »

وفي الساعات العصبية ، أو الساعات الأخيرة للمسيح بين الناس نجده
يصرخ بكل قوته طالبا النجاة ، فما كانت فكرة سفك دمه - فدية عن
خطايا الكثيرين - إلا سرايا علق برسالته فيما بعد .

إن الذين يرفضون هذا القول ، إنما يلحقون بالمسيح صفات يبرئه
منها كل مؤمن وعاقل .

إن الأناجيل تربنا - وخاصة في الساعات الأخيرة - مواقف حاكمة ،
ترفض كلها فكرة قتل المسيح ، وتقطع كل صلة بينها وبين رسالته - ومن
هذه المواقف ما يل :

١ - في نهاية الفترة التي سبقت عملية القبض مباشرة ، كان آخر ما
نطق به المسيح في صلاته ، هو شهادة أن لا إله إلا الله وأنه المسيح رسول
الله - فقال :

« وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك
ويسوع المسيح الذي أرسلته » .

ثم أعقب المسيح ذلك مباشرة بتقرير واضح - لا لبس فيه ولا لبهام
- بين فيه أن الرسالة التي بعثه الله بها قد اكتملت - فقال :

« أنا مجدتك على الأرض . العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته -
يوحنا ١٧ : ٣ - ٤ »

لقد اكتملت رسالة المسيح تماماً قبل حادث الصلب ، فن ذا الذي يفنى
بما يخالف شهادة المسيح ؟ ! .

٢ - وينطق كل مشاهد من مشاهد المعاناة في الحديقة برفض المسيح
فكرة قتله ، فإذا كان مع تلاميذه :

« ابتداء يحزن ويكتئب . فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت .
امكثوا ها هنا واشهروا ..

ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن .
وقال يا أبا الآب كل شيء مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس ..
وصلى الثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه .

وظهر له ملاك من السماء يقويه وإذا كان فى جهاد كان يصلى بأشد
لحاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » .

٣ — وحين شعر المسيح بالخطر يقرب منه ، وقوة الظلم تتقدم للقبض
عليه ، كانت صيحته لتلاميذه :

« قوموا نطلق . هوذا الذى يسلمنى قد اقرب » .

لقد كان يطلب بإلحاح إلى تلاميذه أن ينهضوا لمعاونته فى الانطلاق بعيدا
عن المحنة الوشيكة ، إلا أنهم كانوا « نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا
بماذا يجيبونه » وتركوه وحيداً يعانى آلامه .

٤ — وحين جاءت قوة الظلم ، وتقدم يهوذا ليدلهم على سيده « قال له
يسوع : يا صاحب لماذا جئت » .

٥ — وفى المحاكمة « إجمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة
وأصعدوه إلى مجمعهم قائلين إن كنت أن المسيح فقال لنا .

فقال لهم : أن قلت لكم لا تصدقون . وأن سألت لاتجيبوننى
ولا تطلقوننى — لوقا ٢٢ : ٦٦ — ٦٨ » .

وهنا نجد أن المسئول لو جابهم ، فلن تخرج الأجابة عن أحذقولين ،
لأثالث لهما :

الأول — نعم ، أنا المسيح .

الثانى — لا ، لست أنا المسيح .

ومن الواضح أن كل من يؤمن بروايات الأنجيل عن أحداث الصلب ،
سوف يرفض حتما الأجابة الثانية .

وبذلك تبقى الأجابة الأولى ، والتى يمكن أن توضع فى الصيغة الآتية :

« فقال لهم : نعم ، أنا المسيح لكنكم لاتصدقون وان سألت لاتجيبوني ولا تطلقوني. » وسواء وضعت الاجابة الأولى في الصيغة المقترحة ، أم لم توضع ، فان النتيجة التي لامفر من قبلوها تقول :
بفرض أن الذى يستجوبه الكهنوت اليهودى هو المسيح ، فن الواضح أنه كان يطلب اطلاق سراحه .

وبذلك لا يوجد محل لأى قول يقول : أنه جاء ليبدل نفسه فدية عن كثيرين .
ومن الواضح أيضاً أنه باستخدام القول الثانى ، فان اجابة المقبوض عليه يمكن أن تأخذ الصيغة التالية :
« فقال لهم : لا ، لست أنا المسيح (الذى تطلبونه) لكنكم لاتصدقون .
وان سألت (النجاة) لاتجيبوني ولا تطلقوني » .

وسواء كان هذا أو ذاك فان ما جاء فى هذه المحاكمة يلغى كل ما يقال عن نظرية قتل المسيح .

٦ - ونصل الآن إلى الشهادة الأخيرة التي تنسبها الأناجيل للمصلوب فى الرمق الأخير - ألا وهى : صرخة اليأس على الصليب .

من يسمع قول مصلوب يصرخ إلى ربه « بصوت عظيم قائلاً : الوى الوى لما شبقنى الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى » - من يسمع هذا ثم يقول أن المسيح :

« بذل نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير » وأنه « بذل نفسه فدية لأجل الجميع » .

أو أنه « إذ وجدنى الهيئة كإنسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب » .
أو أنه « بعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله . منتظرا بعد ذلك أن توضع أعداؤه موطئاً لقدميه » - كما يقول بولس ؟!

*

منذ ما يقرب من ٢٠٠٠ عام وقف المسيح يعلم الكهنوت اليهودى مشيئة الله ، فقال لهم :

« لوعلمتم ما هو . انى أريد رحمة لاذبيحة » .

وحتى اليوم لا يزال الكثيرون مصرين على تجاهل مشيئة الله ، فيرفضون الرحمة ويقبلون الذبيحة ! !
